مجدو وآثارها

١ — مرج ابن عامر

سهل فسيح الارجاء منبسط بين جبال الجليل في الشمال والسامرة في الجنوب والكرمل في الغرب ، يضيق قرب حيفا لينفذ إلى السهل الساحلي (سهل عكاء) ، ويخفف من كبريائه فيتصاغر عند جنين (في الجنوب) ، وينحدر في تؤدة شرقاً الى بيسان (غور الاردن) ، ويحرسهُ جبل طابور (ثابور) الجاثم في شماله الشرقي . فلما تقع العين على ازهى من حلته القشيبة التي يكسوهُ اياها الربيع ، حتى اذا جاء الصيف جرَّده منها بحر خجلاً من عريه ، وتطفر دموع الأسى من ماقيه فتسير جداول شحيحة قلما تصل الى البحر . فاذا جاءه الشتاء وحنا عليه بسحبه ، هطلت مدامع شكره توبة وتفجرت مآقيه فتزعث نهر « المقطع » فتدفق « نهر الوقائع » الى البحر الذي يخطر له أن يوتفه عند الحد فيقيم في وجهه سدوداً من الرمل ، فاذا بالماء تفيض على جانبيه ، واذا المستنقعات منتشرة ، وبها الانوفليس (البعوض الذي ينقل الملاريا) يتكاثر ليخرج الى الناس فيسمم طينهُ ، ومن اعلن اشمئزازه من ذلك الصوت ، كان حظهُ لسعة قوية قد تحمل اليه الملاريا وتلزمهُ الفراش جزاء ما صنعت يداه

وليس مرج ابن عامر هذا بمنقطع عن الدنيا رغم انحصاره ، فان الجبال ابت الاَّ أن تتجسر عنهُ قليلاً في اطرافه فكوَّنت له اودية يتصل بها بالسهل الساحلي الشمالي (سهل عكاء) كما مرَّ بنا ، ومكنتهُ من الاتصال بمنطقة بحيرة طبريا والجولة من الشمال (قرب جبل طابور) ومن ثمَّ الى دمشق وما اليها ، كما انهُ يتصل بعجلون وحوران بطريق بيسان . هذا في الشمال ، اما في الجنوب فيتصل بالسهل الساحلي الجنوبي (سهل شارون) بطريق جنين نابلس طولكرم ، وبطريق وادي عاره الجبلي الضيق الوعر ، وبطريق وادي الروحة الغربي

عند ملتقى هذه الطرق وتقاطعها ، وفي نهاية وادي عارة ، وعلى الحد الفاصل بين الكرمل والسامرة ، وبين السهل والجبل ، وفي مكان يشرف على كل اجزاء المرج من اقصاه الى اقصاه ، وعلى بعد نحو ثلاثين كيلو متراً الى الجنوب الشرقي من حيفا — يقع تل « مجدو »

ولا شك في أن مرج ابن عامر هو طريق الاتصال الطبيعي بين شمالي سوريا وجنوبها ومن ثم بين العراق وآسيا الصغرى من جهة ، وبين وادي النيل من جهة اخرى . وقد كانت القوافل التي تدخل مرج ابن عامر من سهل عكاء ، انما تفعل ذلك لتمر به الى السامرة بطريق جنين او الى شارون بطريق مجدو [1] » . وسيرد فيما يلي دليل ذلك ، ومما يدل عليه ان القديسة باولا (St. Paula) في سيرها من بطليوس (عكاء) الى قيسارية في السنة ٣٨٢ م لم تتخذ طريق الساحل البحرية لكنها اتخذت طريق مجدو [2]

٢ — الحصون

هذا الموقع المهم حربيًا وتجاريًا استرعى نظر الفاتحين ورجال الحكم من اقدم الازمنة الى وجوب العناية بهذه المسالك ، والاحتفاظ بهذا السهل وجعله في قبضتهم ، فسعى كل عظيم الى افتتاحه . وقد اقيمت سلسلة من الحصون والقلاع لتقف في وجه المحارب ، وقد بنيت هذه القلاع قرب منافذ المسالك التي ذكرت ، واهمها بيت شان (بيسان) وتعنك ومجدو (تل المتسلم) ودور (الطنطورة) على الساحل ، وقد كانت تذكر هذه معاً في احوال كثيرة خصوصاً في اسفار العهد القديم [3] وتكاد مجدو تكون اكبرها قيمة لتوسطها القلاع والطرق . ويلي هذه الاربع في الشأن قلعة تابور التي حصنت مرات عديدة [4] ويقتسام او يقسام (القيمون او الكيمون الآن)

٣ — مجدو

وتل مجدو هذا صناعي يبلغ ارتفاعه ٥٥٢ قدماً انكليزية ، ومساحة قمته نحو ٥٣٠٠٠ متراً مربعاً ، ينحدر نحو الغرب والجنوب الغربي انحداراً فجائيًا ، اما الجهات الاخرى وهي المواجهة للسهل فتنحدرها تدريجيّ . الى شماله عين ماء تسمى « عين القبة »

ويعرف التل اليوم باسم « تل المتسلم » ذلك لان احد متسلمي عهد الدولة العثمانية اقام في ذلك المكان ، ولعل اقامته كانت قصيرة اذ لم يكن هناك آثار ابنية متسعة ولا غيرها . والمتسلم موظف عثماني اداري كان يلتزم بلاداً بكاملها فيديرها ويدفع ما عليه من المال اللازم . ويلاحظ ان هذا نظام اقطاعي الى حدّ بعيد

---

(١) Sir George Adam Smith, Historical Geography of The Holy Land, p. 390

(٢) Jerome's Life of St. Paula Ibid., p. 390

(٣) مثل يشوع ١١:١٧ ، قضاة ٢٧:١ ، الملوك الاول ٤ :١٢ والاخبار الاول ٢٩:٧

(٤) راجع تاريخ جبل تابور للقس اسعد منصور ص ٧ — ١٢

وقد عرفت مجدو قديماً باسماء كثيرة منها مجدو كما في يشوع والقضاة ومجدون كما في زكريا (١٢ : ١١) وهرمجدون كما في رؤيا يوحنا اللاهوتي (١٦ : ١٦) . ومعنى الاسم « تل المارك » . وقد اعطت المدينة اسمها للسهل المجاور لها فعرف باسم « بقعة مجدو » في عهد البرانيين . وبقي معروفاً بذلك الى العهد الروماني فان جيروم (٣٤٠ — ٤٢٠ م) يذكره باسم سهل مجدو وسهل اللجون Campus Legionis [1] .

ويرى تحت ان اسم نهر « المقطع » محرف عن مجدو . ولهُ على ذلك براهين لغوية [2] لكنني مع ذلك استبعد هذا ، وارجح ان المقطع سمي كذلك لتقطع مجراه ، وان كان الاشتقاق اللغوي يحتم ان يكون الاسم « المتقطع » ، لكن تحريف الاسماء يخضع لقوانين الابدال والقلب اكثر من خضوعه لقواعد الاشتقاق

٤ — السكان الاولون

لقد اتضح للذين توفروا على درس فجر التاريخ في هذا الجانب من فلسطين ، ان هذا السهل كان آهلاً بالسكان منذ العصور الحجرية ، بدليل ما وجد من الادوات الصوانية التي ترجع الى العصر الحجري القديم Paleolithic Age حول مجدو وتعنك . وقد وضع العلماء هذه الموجودات في مصاف موجودات الدور الاشيلي Acheulean في اوربا [3]

ويستدل مما وجد حول مجدو ان هؤلاء السكان كانوا صيادين يعيشون في العراء ، لا مسكن ولا مأوى ، لان الاقليم كان حاراً . فلما غطى الجليد البلدان الشمالية من اوربا ، ومرتفعات الشرق الادنى الشمالية ، وهبت الرياح الغارسة على هؤلاء السكان ، لجأوا الى المغاور التي في تلك الجهات واتخذوها مسكناً لهم . وقد اكتشفت الآنسة « غارود » في احدى هذه المغاور ، « مغارة الوادي » [4] بقايا السكان ، في مكان لا يبعد اكثر من خمسة عشر كيلو متراً عن مجدو

ولعل اهمية مجدو وما جاورها بدت واضحة في الطور الزراعي ذلك لان كل ما يحتاج اليه الزراع ماء غزير وارض خصبة . وارض مرج ابن عامر خصبة ، اما الينابيع فكثيرة في سفوح هذه الجبال لذلك نشأت هناك جماعات زراعية حول جنين وتعنك ومجدو وابوزريق

---

(١) في المتن والطبعة الثانية G. A. Smith, p. 388 (٢) في المتن والطبعة الاولى Zeitshrift des Deutschen Palastina-Veriens (٣) G. A. Smith, p. 387 هناك بحث مفصل للدكتور بيكارد عن العصور الاولى في السهل pp. 66-72 Palestine Exploration Fund, Quarterly Statement 1929 (٤) Zeitschrift des D. P. V.

وابو شوشه والقيمون وغيرها . وقد وجد من الآثار ما يؤيد ان مجدو كانت مركزاً كبيراً من مراكز الحياة في العصر الحجري الحديث Neolithic Age[1]. واهم هذه ادوات صوانية وجدت على سفح التل وبالقرب منهُ

ولم تصل اعمال الحفر الى الطبقات السفلى بعد هناك ، لتعرف اجناس السكان التي استوطنت تلك البقعة ، ولكن الكنعانيين كانوا يقطنون هناك منذ اواخر الالف الثالثة قبل الميلاد ، كما ان الفخار دلّنا على ان الهكسوس (دولة الرعاة) كان لهم فيها شأن

٥ — مجدو في عهد الاسرة المصرية الاولى

كان من جراء التجديد الوطني الذي بدأته تيتي شيري في مصر ، والحروب التي حملتها مع خلفائها على مناوءة الهكسوس ، أن تخلص المصريون من هذا النصر الغريب المحتل[2] وطاردوه الى سيناء على أيدي احموس . ثم قام خلفاؤه من بعده بملاحقة هذا العدو في سوريا ، واحتلال هذه البلاد لضمان سلامة مصر بالاستيلاء على طريقها الطبيعي الى آسيا واوروبا . واشهر من قام بذلك طحتميس الاول . وقد كانت مجدو وتعنك بين المدن التي هاجمها المصريون[3]

لكن بطل الاسرة الثامنة عشرة الحربي هو طحتميس الثالث ، الذي حارب السوريين عشرين سنة متتالية ، واستنفد جهوده وجهود رجاله في سبيل تثبيت سلطان مصر في هذه الاصقاع

اعتلى طحتميس العرش سنة ١٥٠١ ق.م . واخذ يعدُّ للحرب المدة حتى كانت سنة ١٤٧٩ فقام من مصر ماراً بغزة حتى وصل الى «يحم» وعرونه (وهي على الراجح عرعرة اليوم) [4] على نحو عشرة اميال الى الشمال من طولكرم [5]. وكان امام طحتميس ثلاث طرق للوصول الى مجدو حيث كان يعسكر امير قادش ومن معهُ من امراء سوريا الوسطى وامراء الكنعانيين في فلسطين ، وكان هذا الامير قد اقام في مجدو وتعنك ايضاً ليدفع اي خطر . والطريق الاولى الى الشرق هي التي تمر بالقرب من طولكرم ونابلس وجنين وتؤدي الى تعنك وهي اسهل الطرق . والثانية الى الغرب التي تمر بوادي الروحة وتفضي الى مكان على نحو سبعة اميال شمال مجدو . اما الثالثة فهي طريق عرعره ووادي عاره وهي طريق وعر ضيق صعب المسلك ينتهي امام مجدو

---

(١) المكان المذكور قبلا (٢) راجع المقتطف في المجلدين ٦٩ و٧٠ فيهما بحث ضاف عن ذلك المصر في مصر (٣) Elihu Grant, The Orient in the Bible Times, p.193.
(٤) Smith, Hall (٥) طولكرم

وقد اراد الامراء اتباع احدى الطريقين الاولين ، لكن طحتميس اصرَّ على اجتياز الثالثة ، وهكذا كان فسار في طليعة جيشه . وبعد مسير نحو ثمانية اميال منها سنة صعوداً من عرعره (٧٠٧ قدم) الى عين ابراهيم قرب مسموس (١٢٠٠ قدم) واتتان هبوطاً الى عين كبنا ، اشرفوا على مجدو ، بعد ان استغرقت سفرتهم نصف شهر (شهر ايار — مايو)

***

واستعدَّ الجيش المصري في ذلك اليوم للكفاح ، وفي صبيحة اليوم التالي التقى الجيشان المصري والسوري [١] فتقلب الاول على الثاني ، ولف في خط طويل يقرب من الميل الى شمال مجدو ، ثم تقلب القلب بقيادة طحتميس نفسه ودحر السوريين الى مجدو . واشتغل المصريون بالنهب والسلب ، فتمكن أمير قادش ومن معهُ من التحصن في مجدو بعد ان رفعوا اليها بالحبال عن الاسوار . فحاصر الملك المدينة ، فخضعت له . «وقد كان احتلال مجدو كاحتلال الف مدينة ، لان كل امير ثار كان فيها [٢] »

وقد غنم المصريون الاشياء الكثيرة من مجدو ، مما يدل على ما بلغهُ الكنعانيون من الحضارة . فان ٢٩٤ مركبة حربية بيضها مذهب ، و ٢٠٠ درع ، كانت بين العدد الحربية غير ما استبق من ماشية وو .. وقد دونت هذه الاسلاب على درج جلدي في هيكل امون بطيبة [٣] . وعامل المصريون الاسرى بكل لطف كعادتهم [٤] . واتمَّ طحتميس بعدها سيره الى فينيقيا واحتلَّ صور [٥]

وكان بين الابطال الذين استماتوا في هذه المعركة «راداماث» «وسوخ» «وروي» . فكافأهم الملك بان عين الاول والياً «للكرمل» والثاني وزيراً له ، والثالث اميراً لجنده [٦] وقتل سوخ راداماث الوالي وتولى مكانهُ ، وعصى على ملك مصر ، وأعانهُ على ذلك ملك مجدو [٧] . ولما بدأت الدائرة تدور على سوخ في ثورته ، ورأى حلفاؤه بوادر الهزيمة في صفوفه وفلول جنده ، لاذوا كلهم بالفرار وعلى رأسهم ملك مجدو [٨] ورؤساء القبائل الشمالية ، ثم اخذوا يؤلبون في بلادهم احزاباً قوية تسعى للقضاء على السلطة المصرية

---

(١) لعل المعركة التي كانت في تعنك لم تأت Hall, History of the Ancient East, p. 238
(٢) (٣) (٤) Hall, 235 (٥) اخبار حملات طحتميس الثالث في سوريا منقوشة على جدر الكرنك في طيبة . وهناك خلاصة وافية لها في Hall pp. 233-245 (٦) طاحوني ص ٥
(٧) طاحوني ٢١٧ (٨) طاحوني ٢٣٠

٦ — مجدو زمن الفتوح العبرانية

بقيت مجدو مركزاً من مراكز الحياة الكنعانية ، ولعلها حذت حذو بقية المدن السورية التي اغتنمت ، فيما بعد ، فرصة اعتلاء عرش مصر ملوك من غير رجال الحرب الذين كان آخرهم اخناتون ، فانسلخت عن الامبراطورية المصرية . وقد حافظت على كنعانيتها ايضاً امام الفلسطينيين الذين هبطوا السهل الساحلي الجنوبي في القرن الثاني عشر ق.م والذين لم يلبثوا ان بسطوا سلطانهم على كل السهل الساحلي ثم على مرج ابن عامر الى بيت شان (بيسان) [١] . وعلى كل فلم يرد ذكر مجدو مدة طويلة . وقد شاركت عكا وما اليها مجدو في هذا الصمت الطويل . ولعل موالاة التنقيب في التل تكشف لنا عن حقيقة ما تم في هذه الفترة الحادثة

فلما كانت حملة العبرانيين على هذه البلاد ، واستيلائهم على فلسطين بقيادة يشوع ، وتقسيمه البلاد بين الاسباط اليهودية ، عاد اسم مجدو الى الظهور . فقد كانت بين المدن الاحدى والثلاثين التي ضرب يشوع وبنو اسرائيل ملوكها في بحر الاردن [٢] . ثم قسمها يشوع فكانت مجدو وقراها المرتفعات الثلاث في حصة منسى [٣] . ويتضح من متابعة التقسيم ان ما خص منسى كان مرج ابن عامر بكامله [٤]

ولم يستطع بنو منسى أن يملكوا هذه المدن ، فعزم الكنعانيون على السكنى في تلك الارض ، وكان لما تشدد بنو اسرائيل ، انهم جعلوا الكنعانيين تحت الجزية ولم يطردوهم طرداً [٥] . والسر في عجز بني منسى عن امتلاك البلاد يعود الى ما كان عند الكنعانيين الساكنين في ارض الوادي وبيت شان ووادي يزرعيل من المركبات الحديدية وخلو ايدي بني منسى منها [٦]

وقد بقيت مجدو وتعنك وما اليها بايدي الكنعانيين الاشداء ، الذين تمكنوا من المحافظة عليها بقوة مركباتهم الحديدية الى زمن دبورة القاضية النبية . وبذلك كانت منافذ فلسطين في ايدي الكنعانيين ، كما انهم كانوا يفصلون قبائل العبرانيين الشمالية عن الجنوبية [٧]

---

(١) يرى السر جورج ادام سمث (Hist. Geog. p. 402) أن الفلسطينيين دخلوا مرج ابن عامر بطريق مجدو تمنعا . ومع اننا لا نستبعد ذلك فان تحقيق هذا الامر متوقف على ما قد تظهره الحفريات هناك . لكننا نشير الآن الى امر يؤيد رأي السر جورج سمث ويظهر ان مجدو تأثرت كثيراً بالفلسطينيين وهو أن المنقبين وصلوا في بعض الجهات الى الطبقة الخامسة ، وقد وجدوا هناك تأثيراً فلسطينياً (٢) يشوع ١٧:١١ (٣) يشوع ١٧ : ٩ـ١١ (٤) يشوع ١٧:١٢ و١٣ وقضاة ١ : ٢٧ (٥) يشوع ١٧ : ١٦ (٦) G.A.Smith, p.392

٧ — مجدو في زمن المملكة العبرانية

ان معركة تيشون بين باراق القائد العبراني وسيسرا الكنعاني ، التي كانت حوالي السنة ١٢٠٠ ق.م [١] . والتي كانت دبورة هي المحرضة عليها ، قد جرت على مرأى من مجدو . وقد كان على هذه وتعنك أن تحرسا مؤخرة الجيش الكنعاني، وتكونا ملجأ للفارين ومدداً للغيرة . الا أنهُ من المهم أن نلاحظ أن مقر سيسرا كان في حروشة الامم [٢] . ومما يدل على أن المعركة كانت قريبة من مجدو قول دبورة «جاء ملوك حاربوا. حينئذٍ حاربَ ملوك كنعان في تعنك على مياه مجدو » [٣] والمقصود بمياه مجدو هنا تيشون (القطع) [٤]

والذي نستغربه انه بعد هذا الانتصار الذي احرزه العبرانيون لم نسمع انهم ساروا جنوباً فاحتلوا مجدو او تعنك . وهذا يمكن تعليله اما بشعور العبرانيين بعجزهم امام قوة الحصنين ، وهذا ما نرجحه ، واما بقلة اهميتهما . وهذا ما نستبعده

وقد اشتبك شاول مع الفلسطينيين في حرب كان شرها مستطيراً ، واكبر معاركها معركة « وادي جلبوع » [٥] التي انتصر فيها عليهم . وامل الفلسطينيين دخلوا مرج ابن عامر بطريق مجدو [٦].

ويعود اهتمام اليهود الفعلي بمجدو وتعنك الى زمن سليمان (٩٧٥—٩٣٧ ق.م) . الذي عني بتجارة شبه عناية خاصة ، وبذل ما استطاع في سبيل تأمين الطرق التجارية . فانه بنى سوراً وقلعة لمجدو وتعنك [٧] ، كما انه اقام بنايا بن اخيلود والياً عليهما وعلى بيسان [٨] وقد يكون الذين حصنوا مجدو هم العمال الفينيقيون [٩]

في السنة ٩٤٧ ق . م . تولى شيشق الاول عرش مصر ، واستطاع توحيد مصر العليا والسفلى مرة اخرى . واهتم باقامة ردهة كبيرة في معبد الكرنك، كما انه عني بتزيين هياكل امون . وكان سليمان قد توفي في تلك الاثناء (٩٣٧ ق . م .) .وقد انشقت المملكة العبرانية على نفسها ، وكانت اخبار الغنى الفاحش الذي لسليمان قد اطمعت المصريين في نهب البلاد. ولعل شيشق اتخذ اعمال شأن ابن لسليمان (؟) من ابنة فرعون مصر حجة على خصمه

---

(١) Hall, p. 409 (٢) هي الطارئة اليوم على نحو عشرة اميال الى الشمال من مجدو
(٣) قضاة ٥ : ١٩ (٤) تفاصيل هذه المعركة وترتيبة دبورة موجودة في قضاة ص ٤ و٥
(٥) تفاصيل هذه المعركة موجودة في صموئيل الاول ص ٢٨ — ٣١ وهناك بحث في قيمة هذه التفاصيل التاريخية في G. A. Smith, p. 402 (٦) G. A. Smith, pp. 400-404
(٧) الملوك الاول ٩ : ١٥ (٨) الملوك الاول ٤ : ١٢ (٩) تجد تفصيل ذلك في آخر المقال.

ملك يهوذا ورحبعام [١] وعلى كل ففي السنة الخامسة من حكم رحبعام اي سنة ٩٣٣ [٢] ق . م . صعد شيشق ملك مصر الى اورشليم واخذ خزائن بيت الرب وخزائن بيت الملك واخذ كل شيء واخذ جميع أتراس الذهب التي عملها سليمان [٣]

ونقش شيشق اخبار حملته على جدران الكرنك مع الصور اللازمة. وذكر اسماء المدن التي احتلها ، مبدئاً ببعض مدن شمال فلسطين [٤] الجليل [٥] ، ثم اتبعها بمدن يهوذا . وكانت مجدو بين المدن التي احتلها، مع انه لم يرد لها ذكر في اخبار التوراة. وقد ظن ان هذه الاسماء لا تمثل حقيقة البلاد التي احتلها شيشق. وانما هي منقولة عن احدى لوائح عصر الملك سليمان [٦] لكن اكتشاف نصب شيشق في مجدو اثبت انه احتلها ، ولعله حرقها ايضاً

ومع ان ملوك اشور ساروا في فلسطين واحتلوا السامرة وحاصروا اورشليم، واخترقوا البلاد الى مصر، فان مجدو لم تذكر في حروبهم [٧]

وفي زمن يهورام بن اخاب ملك السامرة والنصف الثاني من القرن التاسع ق. م.) جاء اخزيا ملك اورشليم الى يزرعيل حيث كان يقيم يهورام. وكان ياهو زعيم الثورة الدينية على يهورام وامه الفينيقية ايزابل زوج اخاب، قد تقوى كثيراً في ذلك الوقت. ولعل اخزيا جاء لمساعدة يهورام على اخضاع الثائرين . فقاتلهما ياهو فقتل يهورام في يزرعيل وضرب اخزيا فهرب الاخير الى مجدو ومات هناك [٨]

وآخر مرة ورد ذكر مجدو في عهد المصريين كان في اخبار حملة نخو فرعون مصر في السنة ٦٠٩ ق. م. الذي قاد جيشه لمقاتلة الاشوريين في كركيش فاعترض يوشيا ملك يهوذا مقاتلته، فقاد جنده الى بقعة مجدو حيث كان نخو مزمعاً ان يمر، والتقيا هناك، واصاب الرماة الملك يوشيا فقتلوه، ونقل جثمانه على مركبته الثانية الى اورشليم [٩]

[يتبع] عكا فلسطين نقولا زيادة

---

(١) Petrie, p. 72 Egypt & Israel (٢) Petrie 73 (٣) الملوك الاول ١٤ : ٢٥، ٢٦
(٤) Petrie p. 73 (٥) Blunt, Israel's Place in World History p. 38
(٦) Petrie, p. 74 (٧) لعل ذلك يعود الى احتلالهم السامرة واتخاذهم طريق بيسان جنين السامرة الخ بدل طريق مجدو كما فعل الرومان اليونان في القرنين الاول والثاني ق . م . (٨) الملوك الثاني ٩ : ١١—٢٨ ويزرعيل هي زرعين اليوم على ١٢ ميلا جنوب الناصرة . كانت الاولى في الشمال بعد السامرة منذ عهد آخاب فكان يصرف هو وخلفاؤهم اكثر وقتهم فيها (٩) الملوك الثاني ٢٣ : ٢٩ و ٣٠ والاخبار الثاني ٣٥ : ٢٠—٢٢٤